مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية
المجلد 4 (4) – 2024: 229-250

Damascus University Journal of Legal Sciences
Vol 4 (4) -2024: 229-250

الاتجاه الأدبي في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث
(أمين الخولي وبنت الشاطئ أنموذجاً)

حازم زكريا محي الدين[1]

[1] أستاذ مساعد، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة دمشق.

Hazem65.mohyedin@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

الدراسة الأدبية للقرآن الكريم دراسةٌ عريقة في تاريخ التفسير، حيث انطلقت مع البدايات الأولى للمحاولات العلمية لفهم القرآن الكريم وتفسيره في العهود الإسلامية الأولى، واستمرت دون انقطاع إلى أيامنا هذه. لكن مسألة ظهور اتجاه أدبي تفسيري مستقل يتبنَّى رؤيةً ومنهجيةً خاصة، تسعى لتحقيق مقاصد خاصة، فهذا هو الأمر الجديد الذي نضج واستقرت ملامحُه الخاصة في العصر الحديث. ومن هنا يأتي هذا البحث الذي يسعى إلى التعريف بمفهوم التفسير الأدبي للقرآن الكريم، وما المقصود بالاتجاه الأدبي في تفسير القرآن الكريم، وماهي جذوره التاريخية، وما السياق المعرفي والتاريخي الذي أدى إلى ظهوره في العصر الحديث. مع العناية الخاصة برائدي هذا الاتجاه أمين الخولي (ت 1966م) وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ت1998م)، وبيان منهجهما العام في المقاربة الأدبية للقرآن الكريم. وذلك وفق منهج وصفي يتم الاعتماد فيه على رصد كتابات الخولي وبنت الشاطئ ذات الصلة بالمنهج الأدبي، ومحاولة تحليلها لتحديد عناصر المنهج عندهما، وتحديد المساهمة العلمية والمنهجية لكليهما في تشييد الاتجاه الأدبي للتفسير في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: التفسير الأدبي، الخولي، بنت الشاطئ، العصر الحديث.

تاريخ الإيداع: 2024/9/29
تاريخ القبول: 2024/11/12

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب
CC BY-NC-SA

ISSN: 2789-7621 (online)
https://journal.damascusuniversity.edu.sy

The literary trend in interpreting of the Holy Qur'an in the modern age (Amin Al-Khouly and Bint Al-Shati as an example)

Hazem Zakarya Mohyedin[1]

[1]Assistant Professor, Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Sharia, University of Damascus.

Hazem65.mohyedin@damascusuniversity.edu.sy

Received: 29/9/2024
Accepted: 12/11/2024

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

Abstract:

The literary study of the Holy Qur'an is an ancient rooted study in Islamic interpretive history, that began with the first beginnings of scientific attempts to understand and interpret the Holy Qur'an in the early Islamic ages, and has continued without interruption to our days. However, the matter of emerging an independent interpretive, literary trend that adopts a special vision and methodology, seeking to achieve special purposes, is the new matter, which has matured and completed its own special features in the modern age. Actually, this research comes to try to introduce the concept of literary interpretation of the Holy Qur'an, what is meant by the literary trend in interpreting the Holy Qur'an, what are its historical roots, and what is the modern intellectual and historical context that led to its emergence in the modern age? This paper will also give special attention to the two pioneers of this trend, Amin Al-Khouly (d. 1966 AD) and Aisha Abdul Rahman (Bint Al-Shati) (d. 1998 AD), and will give a concise clarification to their general literary approach to the Holy Qur'an. This research will be conducted by using the descriptive method that relies on surveying the writings of Al-Khouly and Bint Al-Shati related to the literary approach, and attempting to analyze them to determine the elements of their method, and determine the scientific and methodological contribution of both of them to establishing the literary trend of interpretation in the modern age.

Key words: The literary interpretation, Al-Khouly, Bint Al-Shati, The modern age.

المقدمة:

شكَّل نزول القرآن الكريم منذ نزوله المصدرَ المركزي، والعِماد الرئيس للحياة الدينية للأمة الإسلامية، وكان المحور الأساس، والشريان النابض لكلِّ جوانب حياتها العلمية والحضارية. لذلك اجتهد العلماء عبر التاريخ الإسلامي المديد، بل تسابقوا، على اختلاف وتنوّع مشاربهم ومرجعياتهم المذهبية والعلمية، في سبيل فهمه وتفسيره واستمداد معانيه ودلالاته التي لا تعرف النضوب والنفاد {وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧} [سورة لقمان:27]. وقد أدى هذا الاجتهاد الحثيث إلى ولادة اتجاهات تفسيرية متنوعة تحمل الألوان العلمية والمذهبية لأصحابها، فظهرت الاتجاهات الأثرية واللغوية والبلاغية والعقدية والفقهية والصوفية والفلسفية. وقد استمر هذا الزخم العلمي إلى العصر الحديث، حيث ظهرت، بالإضافة إلى الاتجاهات السابقة، اتجاهات جديدة إلى حدٍ ما، مثل الاتجاه الإصلاحي والأدبي، والعلمي والدعوي والتربوي والموضوعي، والنصي[1]. ولعل الاتجاه الأدبي هو أقرب هذه الاتجاهات إلى التراث التفسيري العريق، وأكثرها اعتمادا عليه، واستمداداً من ثروته العلمية الزاخرة، لأن الاهتمام بالنص القرآني لغةً ونحواً وبلاغةً وأدباً يكاد يكون عنصراً مشتركاً لكل المفسرين قديماً وحديثاً، بسبب طبيعته الأسلوبية والأدبية المعجزة، التي تُشكِّل الحامل الموضوعي لكل معانيه ودلالاته الربانية.

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الطبيعة الأدبية الناصعة والآسرة للقرآن الكريم، هي الضامنة، في حال القيام بها بطريقة علمية، للحيلولة دون التوظيف المذهبي والإيديولوجي له من خلال فهمه بعيداً عن مقتضياته اللغوية، وفرض المعاني والدلالات عليه من خارج كينونته الأدبية والأسلوبية.

ونلفت الانتباه إلى أن هذا الاتجاه قد فتح المجال العلمي لمشاركة طيف واسع من العلماء والباحثين، سواء أكانوا من داخل الدائرة العربية والإسلامية أم من خارجها[2]، في دراسة النص القرآني من الناحية الأدبية، بشرط امتلاك المؤهلات اللغوية والبلاغية والنقدية المناسبة لقراءة النص القرآني، وفهمه بكفاءة منهجية وموضوعية علمية، وفي الحقيقة فقد أسهمت هذه المشاركة في إثراء حقل الدراسات القرآنية.

وبالنظر إلى مجموع هذه الأسباب تأتي أهمية رصد ملامح ظهور هذا الاتجاه في العصر الحديث، وتتبع أبرز عناصره المنهجية التي برزت في كتابات رائدين من رواده، هما الشيخ أمين الخولي (ت 1966م)، والدكتورة عائشة عبد الرحمن، المعروفة بـ "بنت الشاطئ" (ت 1998م).

منهج البحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي حيث بدأ في رصد كتابات الخولي وبنت الشاطئ ذات الصلة بالمنهج الأدبي في تفسير القرآن الكريم، ومن ثَمَّ اجتهد في محاولة تحليلها من أجل استخراج خطوات المنهج الأساسية عندهما، وتحديد المساهمة العلمية والمنهجية لكليهما في تشييد الاتجاه الأدبي للتفسير في العصر الحديث.

الدراسات السابقة: يوجد عددٌ من الكتب والبحوث التي تطرَّقت إلى دراسة الاتجاه الأدبي في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، وقد أولت هذه الدراسات، في أثناء حديثها عن نشأة هذا الاتجاه وتطوره، وأبرز أعلامه وقضاياه، الشيخَ أمين الخولي ود.

---

1 الاتجاه النصي: هو الاتجاه التفسيري الذي يؤمن أصحابه بمبدأ وحدة النص القرآني بأكمله، وتماسك وانسجام كل سورة فيه على مستوى اللفظ والمعنى، ويتخذون من هذا المبدأ العلمي الراسخ منطلقا لهم لتفسيره في ضوء هذه الوحدة، وما يلزم عنها من مقتضيات. من أبرز ممثلي هذا الاتجاه في العصر الحديث: حميد الدين الفراهي (ت 1930م)، ومحمد عبد الله دراز (ت 1958م)، وأمين أحسن إصلاحي (ت1997م).

2 من بين أبرز العلماء والباحثين الغربيين الذين أسهموا في إثراء المقاربة الأدبية للقرآن الكريم، نذكر: الباحثة الألمانية أنجيليكا نويفرت "Angelika Neuwirth".

عائشة الرحمن، نصيباً متفاوتاً ومختلفاً من حيث العمق، وزاوية الرؤية، وسلامة المنهج، وأصالة المصادر، وطبيعة النتائج التي وصلت إليها، لذلك تركت باب البحث حول هذا الاتجاه وأعلامه مفتوحاً، يحتمل المزيد من التوثيق والتحليل والاستنتاج، وهذا ما يحاول هذا البحث المساهمة في الوصول إليه، بعد الاطلاع ما أمكن على هذه الجهود، والاستفادة منها قدر الإمكان. من بين أبرز هذه الدراسات الأكاديمية:

_ المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، د. كامل علي سعفان، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م.

_ المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، د. عقيد خالد العزاوي، ط1، دمشق، دار العصماء، 2012م.

_ الاتجاه الأدبي في تفسير القرآن الكريم عند أمين الخولي، عبد الرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي، مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبوك، السعودية، العدد 6، 2019م.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الأدبي وأسسه المعرفية:

_ مفهوم التفسير الأدبي:

بيَّنت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (ت 1998م)، وهي من رواد الاتجاه الأدبي في التفسير في العصر الحديث، التفسيرَ الأدبي للقرآن الكريم بأنه: "فهم مفردات القرآن وأساليبه فهماً يقوم على الدرس الأدبي الدقيق المتذوق، المدرك لأقصى ما يستطيع من إيحاء التعبير"[3]

وقال الدكتور عدنان زرزور[4]: " الأصل في منهج التفسير الأدبي أو البياني: أن يُقدِم الدارس على دراسة النص القرآني وتحليله على نحو ما يُفعل في سائر النصوص الأدبية العالية من منظوم ومنثور، وليس في هذا ما يخرجنا من نطاق "التفسير" إلى نطاق "الأدب" من كل وجه، لأن التحليل الأدبي للقرآن لا يستغني عن بعض قواعد التفسير الخاصة حتى لا يخطئ الدارس في فهم المعنى المراد، ويضيع عليه من ثَمَّ فهم المفردات والتراكيب ونواحي البيان "[5].

وقال في موضع آخر إن التفسير الأدبي هو عبارة عن محاولة "الوقوف على "الصورة الفنية" في القرآن، وجعل "النص"، القرآني موضوعاً لدراسة أدبية أو في صميم "الأدب""[6].

يعرّف الدكتور عفت الشرقاوي[7] التفسير الأدبي للقرآن بأنه التفسير الذي " يتناول القرآن باعتباره الفن العربي الأقدس محللاً وجوه الإعجاز البياني للنص"[8]

أما الاتجاه[9] الأدبي في التفسير فهو الاتجاه الذي يؤمن أصحابه من المفسرين والباحثين في العصر الحديث [10] بأن القرآن الكريم هو نصٌّ عربي أدبي الطابع في الصميم، يحمل رسالة دينية تهدف إلى تحقيق مرامي نفسية واجتماعية عامة وخالدة، وإن فهم

---

3 **التفسير البياني للقرآن الكريم**، الجزء الأول، عائشة عبد الرحمن، ط8، القاهرة، دار المعارف، د.ت. 7/1.

4 عدنان زرزور: باحث وأستاذ جامعي سوري معاصر، من أبرز كتبه: "علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه"، و"متشابه القرآن: دراسة موضوعية"، و"الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن".

5 **القرآن ونصوصه**، د. عدنان زرزور، منشورات كلية الآداب، جامعة دمشق، 1980م، 369. أشار زرزور إلى القواعد التالية: ضرورة الوقوف على أسباب النزول، الاهتداء بمألوف استعمال القرآن نفسه للألفاظ والأساليب، مراعاة التناسب القرآني، الإلمام بالحالة التي كان عليها العرب في الجاهلية وفي عصر التنزيل، معرفة رسالة القرآن الأساسية ووجهه الأول وهو أنه (كتاب هداية وتشريع، ودستور جامع للحياة الإنسانية). انظر، **القرآن ونصوصه**، 369_372.

6 **القرآن ونصوصه**، عدنان زرزور، 373.

7 عفت الشرقاوي (ت 2017م): باحث وأستاذ جامعي مصري معاصر، من أبرز كتبه: "بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية"، "قضايا إنسانية في أعمال المفسرين"، "في فلسفة الحضارة الإسلامية".

8 **الفكر الديني في مواجهة العصر: دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث**، عفت الشرقاوي، ط2، بيروت، دار العودة، 1979م، 293.

9 نقصد بكلمة "اتجاه" مجموعة من المفسرين والباحثين الذين يشتركون على نحو أغلبي في الرؤية والمنهج والغاية العامة لأعمالهم التفسيرية.

10 من رواد هذا الاتجاه في العصر الحديث: أمين الخولي، عائشة عبد الرحمن، محمد المبارك، شوقي ضيف، مستنصر مير، شكري عياد.

دلالاته واستمداد معانيه يكون ابتداء من خلال منهج أدبي يقوم بتحليل مفرداته وتراكيبه وأساليبه وصوره في بناء المعنى ونقله إلى الناس، وتأثيره فيهم[11].

في ضوء ما سبق يمكن لنا تحديد العناصر الأساسية التي تشكِّل الهوية المعرفية لهذا الاتجاه في الأمور الآتية:

_ عروبة القرآن الكريم، فقد أنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين، {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل103، و{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} فصلت3. لذلك فإن هذه العروبة اللغوية تشكِّل المحدّد الأساسي لفهم القرآن وتفسيره.

_ الطبيعة الأدبية للقرآن الكريم، والقيمة الأدبية العليا لنصه الحكيم، التي عكف العلماء عبر العصور، من خلال علمي الإعجاز والتفسير بشكل خاص، على اكتشاف هذه الطبيعة الأدبية، وبيان خصائص وأسرار الأسلوب والنظم القرآني المعجز.

_ وجوب دراسة القرآن الكريم وفق مناهج أدبية بوصفه نصاً أدبياً في المقام الأول، مع مراعاة أنه نصٌّ إلهي له مقاصد دينية تتمثل في هداية البشر وإصلاح أحوالهم في المعاش والمعاد، وهذا يقتضي الأخذ بمجموعة مبادئ وأصول تفسيرية تناسب طبيعته، ورسالته الدينية.

_ توقّف كلّ ألوان التفسير ومقاصده على دراسة مفردات القرآن وتراكيبه وأساليبه، كما يمكن أن تُفهم من قِبَل العرب في عصر التنزيل، لأن الله تعالى خاطبهم بما يفهمون، ووفق معهودهم اللغوي، وأساليبهم الأدبية حتى يقيم عليهم الحجة، ويتمكن من التأثير فيهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بأيسر طريق.

المطلب الثاني: الجذور التاريخية للاتجاه الأدبي في التفسير في التراث الإسلامي:

بدأت نواة هذا الاتجاه تظهر عندما صار اللسان العربي وعلومه صناعةً، وقويَ ساعدُه، واشتد عوده في ظل الاتجاه اللغوي في التفسير[12]، الذي شكَّل النواة الأولى له باعتباره اتجاهاً يعتني في المقام الأول بمفردات القرآن، وتحليل وجوه إعرابه، وبيان معانيه.

ويمكن رصد هذه البدايات مع الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما حيث كان يستعين بالشعر الجاهلي في تفسيره للقرآن الكريم، ثم في ظهور كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت207هـ)، الذي ركّز فيه على مراعاة القرآن الكريم لمعهود العرب في أساليب الخطاب، وفنون التعبير، وصور التركيب والبيان، وعدم خروجه عنها. وشهد هذا الاتجاه تطوراً ملحوظاً مع جهود علماء إعجاز القرآن الكريم (الجاحظ (ت 255هـ)، والرمّاني (ت 386هـ)، والخطابي (ت 388هـ)، والباقلاني (403هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت415هـ)، الذين لفتوا النظر إلى القيمة الإعجازية للنظم الأدبي للقرآن الكريم. وقد وصل هذا التطور إلى ذروته مع اكتمال نظرية "النظم" ونضجها عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) الذي ركّز فيها على التحليل الأدبي والأسلوبي للنظم القرآني لتجلية السمة الإعجازية له؛ وقد دخلت هذه النظرية ميدان التطبيق بشكل جليّ مع ظهور تفسير "الكشاف" للزمخشري (ت538هـ)[13] الذي اهتم بتفسير الآيات القرآنية في ضوء علمي المعاني والبيان، ولجأ إلى تأويل كثير من العبارات والصور البيانية في القرآن الكريم مستعيناً بأساليب المجاز، التي تعَدُّ أساس المقاربة الأدبية للقرآن الكريم في نظر أصحابها[14].

---

[11] انظر، **من هدي القرآن: القادة والرسل، أمين الخولي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، 10-13. **دراسات إسلامية**، أمين الخولي، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1996م، 40. **دراسات قرآنية: يوم الدين والحساب**، شكري عياد، 6-21.

[12] يمكن تعريف التفسير اللغوي للقرآن الكريم بأنه: "التفسير الذي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب". **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، ط3، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، 1032/3.

[13] ومن بين أبرز التفاسير القديمة التي اعتنت عناية خاصة بفهم لغة القرآن الكريم وتحليل أساليبه يمكن أن نشير أيضاً إلى كتاب "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"، وهو حاشية لشرف الدين أحمد بن الحسين الطيبي (ت 743هـ) على تفسير الكشاف. ومن التفاسير الحديثة التي أولت الجانب البلاغي مكانةً مرموقة فيها، تفسير "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت1973م). وقد شهد التفسير الأدبي تقدماً ملحوظاً في الآونة الأخيرة على يد عدد من العلماء المعاصرين، يأتي في مقدمتهم الدكتور

المطلب الثالث: السياق التاريخي والمعرفي لظهور الاتجاه الأدبي في العصر الحديث:

_ يمكن لنا أن نتلمس الإرهاصات المعرفية الداخلية التي مهدت لظهور الاتجاه الأدبي في بداية العصر الحديث في جهود الشيخ محمد عبده[15] (ت 1905م) وأعلام مدرسته، وبشكل خاص الشيخ عبد القادر المغربي (ت1956ه)[16]، الذين مهّدوا الطريق إلى دراسة لغة القرآن الكريم وتراكيبه وأساليبه بطريقة علمية منهجية، وجعلوا هذه الدراسة سبيلاً إجبارياً للوقوف على المعنى القرآني وبيانه[17]. وقد شكّلت هذه الجهود في مستوييها النظري والتطبيقي أساساً فتَحَ الطريق لنضج الاتجاه الأدبي وتطوره فيما بعد.

_ وتجدر الإشارة إلى أن ظهور الاتجاه العلمي في التفسير، وبداية ظهور الاتجاه الإيديولوجي[18] الذي اتخذ من النص القرآني منصةً لتسويغ خياراته الإيديولوجية، فضلاً عن أن الخشية من الميل بتفسير القرآن الكريم عند الإصلاحيين إلى هذه الاتجاه أو ذاك، حسب المشروع الإصلاحي الذي يؤمن به كلٌّ مفسِّر، بعيداً عن روح القرآن الكريم ومقاصده بهذه النسبة أو تلك، كلٌّ ذلك قد سرّع من ظهور الاتجاه الأدبي الذي يحرص حرصاً كبيراً على تحصين النص القرآني من داخله، وجعله عصياً على كل المقاربات الجاهزة التي تسعى لتوظيفه في سبيل اكتساب الشرعية اللازمة لها.

_ شهد الغرب منذ نهاية القرن الثامن عشر ولادة علم الهيرمينوطيقا أي فن فهم النصوص وتأويلها، على يد الباحث الألماني **شلاير ماخر** (ت 1834م)[19] الذي وضع أسسه، ودعا إلى تطبيقه على النصوص الأدبية الرفيعة، وعلى النصوص الدينية على السواء[20]. ثم ظهر في نهاية القرن التاسع عشر توجّهٌ واضحٌ نحو المقاربة الأدبية لنصوص الكتاب المقدس بريادة الناقد الإنكليزي **ريتشارد مولتون**[21] (ت1924م) صاحب كتاب "الدراسة الأدبية للكتاب المقدس: الأشكال الأدبية الرائدة الموجودة في الكتابات المقدسة" الذي ظهر في لندن عام (1896م)، وشاع مضمونه، وترددت أصداؤه في أرجاء أوروبا منذ ذلك الوقت. حيث دعا مولتون من خلاله إلى جعل المقاربة الأدبية للنص المقدس حقلاً معرفياً جديداً يستحق الدراسة لذاته، بغض النظر عن الإيمان بقدسية التوراة

محمد أبو موسى الذي فسَّر تفسيراً بيانياً عدداً من السور القرآنية، منها: غافر وفُصِّلت والجاثية والأحقاف. والدكتور فاضل السامرائي صاحب كتاب "على طريق التفسير البياني" في أربعة مجلدات.

[14] انظر، **تفسير القرآن في مصر الحديثة**، يوهانس جانسن، ترجمة حازم محي الدين، بيروت، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2017م، 121–138.

[15] محمد عبده (ت 1905م): مفتي الديار المصرية، وأحد أعلام الفكر والتفسير في العصر الحديث، من كتبه: "رسالة التوحيد"، و"تفسير جزء عمّ"، و"الإسلام دين العلم والمدنية".

16 عبد القادر المغربي (ت 1956م): من أصل تونسي، نشأ في طرابلس الشام، واستقر وتوفي في دمشق، من أعلام اللغة والصحافة والفكر الإسلامي في بلاد الشام في العصر الحديث، كان أستاذا للغة العربية وآدابها في جامعة دمشق، وكان عضواً في مجامع دمشق وبغداد والقاهرة اللغوية، من مؤلفاته: "تفسير جزء تبارك"، "على هامش التفسير"، و"البينات" و"الواجبات والأخلاق". **الأعلام**، خير الدين الزركلي، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م. 47/4.

[17] جعل محمد عبده الشرط العلمي الأول لمن يريد أن يتصدى لعلم التفسير أن يبدأ بـ "فهم حقائق الألفاظ المفردة المذكورة في القرآن بحيث يحقق المفسِّر ذلك من **استعمالات** أهل اللغة غير مكتفٍ بقول فلانٍ وفهْم فلان، ...، يجب على مَنْ يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرّق بينها وبين ما ورد في الكتاب، فكثيراً ما يفسِّر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى. فَعَلَى الْمُدَقِّقِ أن يفسِّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه فربما استُعمِل بمعانٍ مختلفة كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه... وقد قالوا إن القرآن يُفسِّر بعضُه ببعض، وإن **أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته**"[17]. **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، ط2، بيروت، دار المعرفة، د.ت،1/21_22.

[18] للوقوف على الاتجاه الإيديولوجي في التفسير في العصر الحديث، يمكن الرجوع إلى كتاب: **الإنسان والقرآن وجهاً لوجه: التفاسير القرآنية المعاصرة، قراءة في المنهج**، د. احميدة النيفر، ط1، دمشق، دار الفكر، 2000م، 79–113.

[19] فريدريك شلاير ماخر (1768_ 1834م): لاهوتي ألماني، كان له أثر كبير في تطور الفكر البروتستانتي، ويُعدُّ مؤسس اللاهوت البروتستانتي الحديث، ورائد المسيحية الليبرالية. من مؤلفاته: الإيمان المسيحي طبقاً لمبادئ الكنيسة الإنجيلية، والأخلاق الفلسفية. **معجم أعلام المورد**، منير البعلبكي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1992م، 260.

20 لمعرفة الأصول العامة التي دعا شلاير ماخر إلى استخدامها من أجل فهم النصوص يمكن الرجوع إلى، **فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا**، عادل مصطفى، ط1، القاهرة، دار رؤية، 2007م، 96–112. **دراسات في القرآن**، السيد أحمد خليل، دار المعارف بمصر، د.ت، 135_141.

[21] ريتشارد غرين مولتون (ت1924م): ناقد إنكليزي، وُلد في إنكلترة، درَس، وحصل على درجات جامعية من جامعات لندن، وكمبريديج، وبنسلفانيا، كان أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة شيكاغو. من مؤلفاته: مختارات من روائع الكتاب المقدس الأدبية، مقدمة قصيرة في آداب الكتاب المقدس. Wikipedia, **Richard Green Moulton**.

والإنجيل أو عدمها، لأن الثراء الأدبي للكتاب المقدس يحمل قيماً فنية وجمالية ذات أبعاد إنسانية تستحق العناية والتحليل المستقل، ويحمل قدرةً مذهلة على تطوير الأدب الإنساني، وفتْح الآفاق أمامه[22].

تظهر قيمة وأثر هذا التحوُّل الغربي عندما نعلم أن رائد هذا الاتجاه في العالم الإسلامي الشيخ أمين الخولي (ت1966م) قد سافر إلى الغرب (روما وبرلين بين عامي 1923 و1927م) في الربع الأول من القرن العشرين، واطّلع عن كثب على أبرز الاتجاهات الأدبية، ومناهج الدراسات الكتابية (أي الدراسات الخاصة بالكتاب المقدس: التوراة والإنجيل)، كما سنرى فيما بعد.

_ يمكن أن نضيف إلى ما سبق ظهور المؤسسات التعليمية الحديثة (مثل جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مدرسة القضاء الشرعي في مصر، جامعة دمشق، الجامعة التونسية، جامعة بغداد)، وافتتاح كليات الآداب التي أدرجت دراسة القرآن الكريم بين مناهجها، وهذا الأمر دفع ببعض الأساتذة والباحثين إلى تناول القرآن الكريم بأدوات ومناهج أدبية، ولغايات أدبية خالصة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الطبيعة الأدبية للقرآن الكريم هي التي أتاحت دخول عدد من الباحثين والدارسين المختصين باللغة، والأدب، والنحو، والبلاغة، والنقد الأدبي، واللسانيات، وتحليل الخطاب، إلى ساحة الدراسات القرآنية. وفي هذه البيئة العلمية بالذات ظهرت جهود الشيخ أمين الخولي رائد الاتجاه الأدبي في التفسير في العصر الحديث الذي كان أستاذاً في كلية الآداب في الجامعة المصرية، ومازالت كليات الآداب والعلوم الإنسانية في العالم الإسلامي وخارجه تقدّم لنا بين الحين والآخر باحثين لامعين في ميدان الدراسة الأدبية للقرآن الكريم.[23]

المطلب الرابع: أمين الخولي: حياته ومؤلفاته ومنهجه في التفسير:

1_ حياته ومؤلفاته: وُلد أمين الخولي في عام (1895م) في قرية شوشاي، مركز أشمون، في محافظة المنوفية. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، درس في المدارس الحكومية، ثم انتقل للدراسة في مدرسة القضاء الشرعي في عام (1915م)، وعُيّن فيها مدرِّساً بعد تخرُّجه منها عام (1921م)، وأشرف على تحرير مجلتها، ثم عُيّن مدرساً في كلية دار العلوم. كتب الخولي مقالات عديدة في عدة صحف مصرية منها: مجلة المقتطف، الأدب، المصري، الهلال، الإيمان، البلاغ. وعُيّن عام (1923م) إماماً لسفارة مصر في روما، ثم انتقل في عام (1926م) إلى برلين، حيث تعلّم فيهما اللغتين الإيطالية والألمانية، واطلع على تراث المستشرقين الطليان والألمان، واعتنى كثيراً بتتبع الدراسات الكتابية ومناهج تدريسها، ومناهج تفسير الكتاب المقدس، وبشكل خاص اطلع على جهود شلاير ماخر الهرمنيوطيقية[24].

عاد إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة (1927م)، ودرّس فيها آداب البحث والمناظرة، وتاريخ العقيدة الإسلامية، والأدب العربي وتاريخه. وفي العام نفسه انتُدب للتدريس في كلية أصول الدين في الأزهر فدرَّس للطلاب علم الأخلاق والفلسفة وتاريخ الملل والنحل. وعُيّن في عام (1928م) مدرساً في قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، ثم عيّن مستشاراً لدار الكتب المصرية، ومديراً عاماً للثقافة، وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة. أسّس أمين الخولي "جماعة الأمناء" الأدبية، وأصدر مجلة "الأدب" الناطقة باسمها.

---

[22] Mustansir Mir, **The Qur'an As Literature.** Religion and Literature, 20 (1988), 1:49.

[23] نذكر منهم: محمد محمد أبو موسى، فاضل صالح السامرائي، محمد رجب البيومي، عبد الله صولة، محمد عبد السلام الراغب.

[24] انظر، **الإسلام العقلاني: تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي**، أحمد سالم، القاهرة، دار رؤية، 2009م، 113.

_ **من مؤلفاته وبحوثه المطبوعة:** مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المجددون في الإسلام، فن القول، مشكلات في حياتنا اللغوية، كتاب الخير (دراسة موسعة في الفلسفة الأدبية مطبقة على الحياة الشرقية والتفكير الإسلامي)، رأيٌ في "أبو العلاء"، مالك بن أنس تجربة حياة، ورسالة الأزهر في القرن العشرين، صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، تاريخ الملل والنحل.

_ **دراساته القرآنية:** له مجموعة كتب تحمل اسم "من هدي القرآن"، بدأ بها على شكل محاضرات إذاعية منذ عام (1938م) تقريباً، واستمر فيها إلى أكثر من عشرين عاماً، وألقى فيها محاضرات تتمتع بوحدة الموضوع والقضية، وكانت صدى لمنهجه في التفسير الأدبي، منها: السلام والإسلام، القرآن والحياة، الطغيان في العلم والمال والحكم، الفن البياني في القرآني، القسَم القرآني، شخصية محمد عليه السلام، وتناول عبادات كالحج والصوم والزكاة، ولكن لم يصل إلى الناس من هذه المحاضرات عن طريق النشر إلا بعضها مثل: "في أموالهم"، "في رمضان"، "القادة والرسل"[25]. وله كتيب بعنوان "عن القرآن الكريم" تناول فيه بشكل أساسي نزول القرآن الكريم وجمعه وقراءته وترتيبه مع الإشارة إلى خصائص أسلوب القرآن المكي والمدني.

_ **طلابه:** من أبرز طلابه الذين تبنوا منهجه وآراءه في فهم القرآن ودراسته: عائشة عبد الرحمن، المعروفة بـ "بنت الشاطئ" (ت1998م) لها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، محمد أحمد خلف الله (ت 1991م) له (الفن القصصي في القرآن)، مصطفى ناصف (ت 2008م) له (البلاغة عند الزمخشري)، شكري محمد عياد (ت 1999م) (من وصف القرآن ليوم الدين والحساب)، حسين نصار (ت2017م) (القسَم في القرآن الكريم) [26].

2_ منهج الخولي في تفسير القرآن الكريم:

يمكن تصنيف القضايا المنهجية التي أثارها الخولي أثناء حديثه عن منهجه الأدبي في التفسير تحت الأقسام الآتية: مقدمات المنهج، خطوات المنهج، ملحق المنهج.

القسم الأول: مقدمات المنهج: حيث حَّدد الخولي رؤيته العلمية (التجديدية والنقدية والهرمنيوطيقية)، التي انطلق منها، وارتكز عليها منهجه في التفسير، وبيّن مقصده الأساسي من الدراسة الأدبية، وحدّد الهدف منها، ودعا إلى وجوب دراسة القرآن الكريم ابتداءً من حيث هو نص أدبي، وإلى ضرورة تهيئة النص القرآني للدراسة الأدبية، من خلال اعتماد المقاربة الموضوعية التي تلبي حاجة الدراسة الأدبية وتحقق مقتضياتها.

القسم الثاني: خطوات المنهج: ويتفرع هذا القسم إلى فرعين:

1_ دراسة حول القرآن أي علومه وبيئته المادية والمعنوية التي تساعد على فهم دلالاته وتحديد معانيها.

2_ دراسة في القرآن: أي الدراسة التفصيلية للنسيج النصي في القرآن الكريم، ابتداء من الكلمة ثم التركيب، وانتهاء بالأساليب القرآنية.

---

[25] انظر، **من هدي القرآن**، أمين الخولي، 7-10.

26 للتوسع في ترجمة أمين الخولي، انظر، **أمين الخولي شيخ الأمناء**، كامل سعفان، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998م، 9-16. **أمين الخولي**، حسين نصار، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1996م، 7-16.

القسم الثالث: ملحق المنهج: بعد أن فرغ الخولي من تحديد مقدمات المنهج وخطواته، عمد إلى التنبيه والتشديد على أهمية دراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية للنص القرآني، حيث دعا إلى دراسته دراسة أدبية تستعين بعلمي النفس والاجتماع حتى يتم تفسير الاختيارات اللغوية والأساليب البيانية والأدبية في القرآن الكريم، وفهم دورها وأثرها في نفوس المتلقين، وهذا ما يمكن تسميته اليوم بالأبعاد التداولية للخطاب القرآني.

ولنبدأ الآن بتسليط مزيد من الضوء على هذه الأقسام الثلاثة:

أولاً: مقدمات المنهج:

1_ الرؤية العلمية: تنقسم الرؤية العلمية عند أمين الخولي المتعلقة بالمنهج الأدبي لتفسير القرآن إلى ثلاثة عناصر:

_ العنصر التجديدي: أي الإيمان العلمي بإمكانية التجديد في علم التفسير:

يقول أمين الخولي: "والقدماء فيما يقولون عن حياة العلوم الإسلامية قد قسموها ثلاثة أقسام: علم نضج واحترق، وهو النحو والأصول، وعلم نضج وما احترق، وهو علم الفقه والحديث، وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير. ويشاء الله أن يكون علم البيان وعلم التفسير من أول ما أقوم على خدمته في كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، فيكون قول القدماء أنفسهم بعدم نضجهما إذناً صريحاً منهم بالمحاولة المجددة في حياة هاتين المادتين. وقد تقدّمتُ إلى هذه المحاولة تحت الشعار الذي اتخذته لنفسي وهو: أول التجديد قتل القديم فهماً"[27] . أي إن الخطوة الأولى في الطريق نحو التجديد في علم التفسير والبلاغة تكمن في الاستيعاب العلمي الراسخ لهذين العلمين، لأن الجديد لا يمكن أن ينبثق إلا من رحم القديم. وهذا ما فعله الخولي الذي عُرف عنه التبحُّر العلمي في كل ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، والبلاغة وفنونها.

_ العنصر النقدي: نقد المقاربة التجزيئية للتفسير.

نقد الخولي المنهج العام الذي اتبعه معظم العلماء في تفسير القرآن الكريم، أي المنهج التحليلي الذي يتعامل مع النص القرآني بصورة تجزيئية يهيمن عليها العلم الذي يغلب على المفسِّر الاهتمام به. يقول الخولي: "منذ عصر مبكر جعل القوم يتناولون تفسير القرآن على ترتيب سوره، يقفون منها على بعض الآي أو الآية أو الجملة من الآي فيبينون ما فيها على اللون الذي يُؤثره المتناول، وتضفيه شخصيته على تفسيره، وما زالت الخطة هي السائدة في التفسير ... "[28]. وسنرى بعد قليل كيف دعا الخولي إلى تبني المقاربة الموضوعية للقرآن الكريم كي تُعتَمد من الناحية المنهجية بديلاً عن المقاربة التحليلية/التجزيئية التي انتقدها، ورأى عدم صلاحيتها الكافية لاستنباط المعاني والدلالات القرآنية.

_ العنصر الهرمنيوطيقي: أي الإقرار بوجود تفاعل علمي وفكري حي بين المفسّر والخطاب القرآني، وتأثّر مُخرَجات عملية التفسير بالأفق المعرفي والفكري والذاتي الخاص بالمفسِّر[29]. حيث ذهب الخولي إلى حدوث حالة من التفاعل بين المفسِّر وما يملكه من رؤية للعالم، ومستوى علمي، وأفق عقلي وأدوات علمية، وشخصية معرفية وروحية خاصة، وأحكام وتحيّزات مسبقة، وبين

---

[27] **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، أمين الخولي، الأعمال الكاملة، الجزء العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، 229.

[28] **مناهج تجديد**، أمين الخولي، 226_227.

[29] يعرف الدكتور عبد الجبار الرفاعي الهرمنيوطيقا بقوله: "هي فن الفهم أو قراءة للقراءة، أو فهم الفهم، أو تفسير لكيفية تلقي المفسِّر للنص، وطريقة إنتاجه للمعنى المقتنص منه في ضوء أفق انتظاره، ورؤيته للعالم، وإطار ثقافته، ومسلّماته، وأحكامه المسبقة"، **الهرمنيوطيقا بوصفها منهجاً للتفسير عند أمين الخولي**، عبد الجبار الرفاعي، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2024م، 33. وتقول الدكتورة يمنى طريف الخولي بأن الهرمنيوطيقا "أصبحت علماً له مدارسه، ... إنه علم يقوم على إلغاء التباعد بين القارئ والنص، أو ما يتمثّل في فلسفة المناهج المعاصرة من إلغاء للتباعد بين الذات والموضوع الذي وقعت في إساره الفلسفة الحديثة، وبالتالي فهم النص ليس كموضوع مفارق، بل في سياق إنتاجه، وفي أفق المتلقي له، فتتعدد مدلولاته بتعدد آفاق المتلقين باختلاف الأزمنة والأمكنة، ويبقى النص معيناً لا ينضب أبداً وإمكانية متجددة دوماً""، **أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد**، يمنى طريف الخولي، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، رقم 652، د.ت، 77.

نص القرآن الكريم أثناء عملية التفسير، تكون نتيجة هذا التفاعل تأثُّر المُخرَج التفسيري بالمستوى والأفق المعرفي للمفسِّر، وتلّونه بلون شخصيته وخصوصيته الإنسانية والتاريخية. وأكثر ما يتحقق هذا الأمر عندما يكون النصُّ المفسَّر نصاً أدبياً مليئاً بالمجازات والصور البيانية حيث تفتح الطبيعة الجمالية لهذا النص المجال واسعاً أمام تدفق المعاني من ذات المفسِّر ضمن ما تسمح به اللغة وقوانينها. يقول الخولي: "إن الشخص الذي يفسِّر نصاً، يلوِّن هذا النص، ولا سيما النص الأدبي، بتفسيره له، وفهمه إياه. إذ إن **المتفهِّم لعبارةٍ هو الذي يحدد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي الذي يمتد إليه معناها ومرماها، يفعل ذلك كله، وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي**، لأنه لا يستطيع أن يعدو ذلك من شخصيته، ولا تمكنه مجاوزته أبداً، **فلن يفهم من النص إلا ما يرقى إليه فكره، ويمتد إليه عقله، وبمقدار هذا يحتكم في النص ويحدد بيانه**، فهو في حقيقة الأمر يجرُّ إليه العبارة جراً، ويشدُّها شداً، يمطُّها حيناً إلى الشمال، وحيناً إلى الجنوب، وطوراً يجذبها إلى أعلى، وآونة ينزل بها إلى أسفل، فيفيض عليها في كلٍ من ذاته، **ولا يستخرج منها إلا قدر طاقته الفكرية، واستطاعته العقلية**، وما أكثر ما يكون ذلك واضحاً، حينما تسعف اللغة عليه، وتتسع له ثرواتها، من التجوزات والتأولات، فتمتد هذه المحاولة المفسِّرة بما لديها من ذلك، وإن المستطاع منه في اللغة العربية لكثير وكثير. **على هذا الأصل وجدنا آثار شخصية المتصدّين لتفسير القرآن، تطبع تفسيرهم له، في كل عهد وكل عصر، وعلى أية طريقة ومنهج، سواء أكان تفسيرهم له نقلياً مروياً أم عقلياً اجتهادياً**. ولعله لا يبدو هذا الأثر الشخصي واضحاً في التفسير المروي لأول وهلة ولكنك تتبينه إذا ما قدَّرت أن المتصدي لهذا التفسير النقلي إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه، متعلّقة به، فيقصد إلى ما تبادر لذهنه من معناها، وتدفعه الفكرة العامة فيها، فيصل بينها وبين ما يُروى حولها باطمئنان، وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسياً وعقلياً، حينما يقبل مروياً ويُعنى به، أو يرفض من ذلك مروياً _ إن رفضه_ ....ومن هنا نستطيع القول بأنه **حتى في رواج التفسير النقلي وتداوله تكون شخصية المتعرِّض للتفسير هي الملوِّنة له، المروِّجة لصنفٍ منه**. أما حين يصير التفسير عقلياً اجتهادياً فإن هذا التلوين الشخصي يبدو أوضح وأجلى، وقد أشرنا إلى **ما لثقافة متعاطي التفسير من الأثر في تفسيره، إذ إن ثقافته ونوع معارفه هو الذي يحدد ناحية عنايته وميدان نشاطه، وما ينتفع به في استخراج معاني العبارة، وما يُعنى به قبل غيره من المعاني، فيتأثر التفسير بذلك كله، ويتأثر تاريخ هذه المعارف نفسها بمزاولة التفسير**.... وهكذا تنوعت ألوان التفسير، وتعددت بتعدد ثقافات المتصدين له، .. **كما يُبيَّن فيه [أي في التاريخ التفصيلي للتفسير] المحبَّبُ المقبول من هذا التلوين، والمنفِّرُ المكروه منه كالتلوين الباطني والإشاري المتطرف، وما إلى ذلك من تفسير مردود يُخرجِ القرآنَ عن وضعه [اللغوي]، ويناقض الحكمة الإلهية والغرض الإصلاحي من وصله بحياة الدين والدنيا، وقد وصف القدماء مثل هذه الألوان المنفرة المستقبحة واستبعدوها. أما ما عدا هذا المكروه من التلوين، فقد ينجو من هذا الاستبعاد والاستنكار، ولكن يبقى النظر في تحقيقه للفائدة المرجوة من القرآن، فيسلَّم فيه بذلك أو لا يسلَّم** "[30] .

في ضوء ما سبق يمكن القول بأن الخولي مقتنع بالدور الإيجابي والتفاعل الرشيد بين المفسِّر ومستواه العقلي وأفقه وعدته المعرفية وبين النص القرآني بشرطين:

أولهما: أن يلتزم المفسِّر بالحدود الوضعية للغة القرآنية على مستوى المفردات والتراكيب أي لا يفهم كلمة أو عبارة بعيدة عن الفهم العربي لها في عصر التنزيل، مع احتفاظه بحقه العلمي باستثمار كل إمكانيات وطاقات اللغة المجازية والبيانية دون أن يتطرّف

[30] **مناهج تجديد**، أمين الخولي، 223- 225.

في ذلك، ويقع في حفرة الاتجاه الباطني، والفهم المذهبي المغالي الذي ينتهك حرمة النص، ويفرض عليه معاني لا تستسيغها لغته، ولا أساليبه البيانية التي جاءت وفق أساليب العرب ومعهودهم الأدبي.

وثانيهما: أن لا يهدم المفسّر مقاصد القرآن الكريم، وغاياته الإصلاحية، أي أن يبقى عمله وتفاعله في حدود ما تتحقق به ماهية القرآن الكريم بوصفه كتاب الله المنزَّل رحمة وهداية للعالمين يخرجون به من الظلمات إلى النور، وينالون به رضوان الله في الدنيا والآخرة، ويحرزون السعادة والكرامة والعدالة في كل وجوه حياتهم.

وفي شرطي الخولي هذين رفضٌ صريح لمن يريد تحويل القرآن الكريم، بحجة الهرمنيوطيقا، إلى مجرد قالب خارجي يملؤه المفسر في كل عصر بما يريده هو ضمن شروطه التاريخية والذاتية، وبالتالي يفقد القرآن كينونته الداخلية ومقاصده الخاصة، ويصبح تابعاً لا حول له ولا قوة إزاء ما يريده المفسِّر، وهذا المآل مرفوض بشكل قطعي من قبل الخولي، وله الحق في ذلك الرفض القاطع.

2_مقصد التفسير وغرضه الأول: الدراسة الأدبية للقرآن:

يقول أمين الخولي: "يرى [محمد عبده] أن الغرض الأول والأهم في التفسير أن يكون محققاً لهداية القرآن ورحمته مبيناً لحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح.. فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن وهو مقصد جليل ولا شك.. يحتاج المسلمون إلى تحقيقه. لكن ليس بدعاً من الرأي أن ننظر في هذا المقصد لنقول: إنه **ليس الغرض الأول من التفسير، وليس أول ما يُعنى به ويُقصد إليه، بل إن قبل ذلك كله مقصداً أسبق وغرضاً أبعد تنشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم عليه المقاصد المتعددة، ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد آخر سواء أكان ذلك المقصد الآخر علمياً أم عملياً، دينياً أو دنيوياً، وذلك المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم،** فهو الكتاب الذي أخلد العربية، وحمى كيانها وخلد معها، فصار فخرها، وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين، أو يفترق به الهوى ما دام شاعرا بعربيته، .... فالعربي القحّ أو من ربطته بالعربية تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرسه درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة. وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً، وفاءً بحق هذا الكتاب، ولو لم يقصدوا الاهتداء به، والانتفاع بما حوى وشمل، ...، **فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء أنظر إليه الناظر على أنه كذلك في الدين أم لا.** وهذا **الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده** وتعتده معنا الأمم العربية أصلا، والعربية اختلاطا **مقصدا أول، وغرضا أبعد يجب أن يسبق كل غرض، ويتقدم كل مقصد،** ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي أن يعمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء، ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك.

وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على **وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد دراسة صحيحة كاملة مفهمة له، وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً، لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها. فجملة القول: إن التفسير اليوم فيما أفهمه، هو: الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع. والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يُقصد إليه"**[31].

[31] **مناهج تجديد**، أمين الخولي، 229_231

نرى أن الخولي بهذا الكلام قد جعل دراسة القرآن الكريم، ابتداءً، عملاً قومياً محضاً، يقوم به أبناء العروبة ومن ارتبط بهم عن طريق اعتناق الإسلام، أو الاختلاط بالعرب، واتخاذ القرآن المثل الأدبي الأعلى في حضارتهم وثقافتهم. ولكن يجب القول بأن المسلم غير العربي لم يعتن بالقرآن الكريم، ولم يجتهد في سبيل فهمه وتفسيره إلا بدافع ديني أكبر بالضرورة بكثير من الدافع الأدبي والفني، بل يمكن القول أيضاً إن العرب الذي أنفقوا حياتهم في سبيل فهم القرآن وتفسيره لم يفعلوا ذلك، في الأغلب، إلا بسبب الإيمان الديني العميق به، لذلك فإنا نقول إن واقع تاريخ الدراسات اللغوية والأدبية في حركة التاريخ يشهد على تداعي الأساس الذي ارتكز عليه الخولي في دعوته للدراسة الأدبية للقرآن، لأنه إذا كان القرآنُ الكريم يمثِّل العربَ والعروبةَ، ويشكّل معقد فخار لهم بوصفه كتابهم الأكبر، فإنه، من باب أولى، يشكِّل الكتاب الإلهي الأكبر للإنسانية جمعاء، {تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١} [سورة الفرقان:1]. ولا يمكن الفصل بين المصدر والبُعد الديني للكتاب الإلهي عن نسيجه اللغوي والبياني، على الأقل بالنسبة للمسلمين، لأن علاقة اللغة بكل مستوياتها لا تنفصل عن الفكر والمعنى، لذلك فإن تحييد العنصر الديني من هذه المقاربة أمر فيه مبالغة[32]، ومن يقرأ نتاج الخولي في الدراسات القرآنية يلحظ التواشج العميق بين لغة القرآن وبيانه وبين رسالته الدينية التي جاء في الأصل تعبيراً دقيقاً وأميناً عنها، هذا فضلاً عن أن التفاعل مع المستوى الأدبي للقرآن الكريم لا يمكن أن يحقق الهدف الأسمى من الدراسة الأدبية، حسب ما يأمل الخولي كما سنرى بعد قليل، دون إيمان مسبق بمعاني القرآن الكريم ودلالاته الدينية.

نقول هذا الكلام، ونحن نقرُّ ونؤمن إيماناً علمياً مبصراً، مع أمين الخولي، أن الدراسة اللغوية والأدبية في سياقه التاريخي والحضاري للقرآن الكريم يجب أن تسبق كل الدراسات والمقاربات التفسيرية المتنوعة الأخرة، بل هي الأساس العلمي المكين الضامن لها حتى تؤتيَ ثمارها وتحقق مقاصدها بشكل علمي موضوعي، بعيدٍ قدر الإمكان عن الهوى المذهبي والإيديولوجي، وعن الهشاشة العلمية التي تمنع المفسِّر من تلقي فيض الدلالات القرآنية التي لا تنضب.

3_ الهدف من الدراسة الأدبية: هو تدبير الحياة وإصلاح أحوال البشر وفق الرؤية والمنهج القرآني:

يرى الخولي بأن الدراسة الأدبية للقرآن الكريم ليست من أجل الأدب، فالخولي لا يؤمن بمبدأ الأدب للأدب أو الفن للفن، بل يذهب إلى أن الهدف من التفسير الأدبي للقرآن هو دراسة واستجلاء التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن للحياة الإنسانية ... "**فالدراسة الأدبية للقرآن بوصفه معجزة العربية البلاغية والأصل الأكبر لدعوة الإسلام تحاول عرض الهدي القرآني في تفسير الحياة وتدبيرها ذلك التدبير الذي حفظ لنفسه صفة العموم والدوام وختم رسالات السماء إلى هذه الأرض**"[33].

إذاً، ليس المراد من الدراسة الأدبية للقرآن الكريم بوصفه كتاب العربية الأكبر دراسة الأدب للأدب بل دراسة الأدب المرتبط بالهدف الإنساني والاجتماعي، لأن القرآن نفسه لم يأخذ بمبدأ الفن للفن "لأنه يجعل فنه القولي وسيلة لإصلاح الحياة البشرية، ذلك الإصلاح الخلقي الاجتماعي العام الذي أنزل لأجله هدى للناس ورحمة، يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً. **ثم إننا نرمي من وراء ذلك كله إلى الارتياض والدعوة للأخذ بالنظرة الشاملة والفكرة الجامعة في تفسير هذا القرآن**، راجين أن يتمسك بها أصحاب القول في تفسيره اليوم، فيتتبعوا استعماله في المواطن المتباعدة، والمناسبات

[32] الكلام المذكور أعلاه لا يعني استبعاد إمكانية، وجدوى دراسة القرآن الكريم من الناحية الأدبية من قبل علماء غير مسلمين، فالواقع العلمي يؤكد جدواها وقيمتها المعرفية بشرط التعامل معها بحسٍّ نقدي، كلُّ ما أردت قوله هو أن هذه الدراسة لن تؤتي أكلها الكاملة، ولن تتحقق بها مقاصد القرآن العليا في غرس الإيمان وعقيدة التوحيد وهداية الإنسان إلى الأقوم في كل شؤون حياته، في ضوء الهدي القرآني إلا إذا كان المشتغل في التفسير الأدبي مؤمناً إيماناً دينياً بقداسة القرآن الكريم وربانية مصدره، وخيرية مضامينه، وقيمومته على الحياة والأحياء.

[33] **القادة والرسل**، أمين الخولي، 9_10.

المتغيرة **ليستشفوا من وراء ذلك نظراته البعيدة، في نظمه وصوغه ولا يكتفوا بالنظرة الجزئية إلى الكلمة في الآية، أو الآية في السورة لأن ذلك لا يلائم أهمية هذا الكتاب، ولا يهدي إلى دقائق مراميه الإصلاحية الكبرى"**[34].

وقد أكدت بنت الشاطئ بدورها هذا الهدف الديني والاجتماعي للدراسة الأدبية للقرآن، حيث ذهبت إلى أنه لا توجد كلمة أو عبارة أو تركيب أو أسلوب في القرآن إلا والهدف منه الرحمة والبشرى والهداية للمسلمين "لأن طبيعة النص القرآني من حيث هو كتاب هدى ودين تقتضي توجيه كل لفظ وآية إلى مناط الهداية والاعتبار"[35].

4 _ تهيئة النص القرآني للدراسة الأدبية: المقاربة الموضوعية للقرآن الكريم:

رأينا فيما سبق أن الخولي قد انتقد المقاربة التحليلية التجزيئية للقرآن الكريم، والخاضعة بصورة واضحة للاهتمامات العلمية الغالبة على المفسر، ورأى أن هذه المقاربة تحرم المسلمين من النظرة الشاملة والفكرة الجامعة في تفسير القرآن الكريم، وهي لا ترتقي لمكانة القرآن بوصفه كتاب هداية للعالمين في المقام الأول، لذلك دعا من أجل الوصول إلى المعنى القرآني بشكل دقيق ووثيق، إلى اعتماد المنهج الموضوعي في التفسير المتمثِّل، في نظره، في هذه الخطوات: اختيار موضوع من القرآن الكريم، ثم جمع كل الآيات ذات الصلة به بطريقة استقصائية، ومن ثم محاولة ترتيبها من حيث النزول، والإحاطة قدر الإمكان بالظروف والملابسات الحافة بكل آية من آيات الموضوع، وبعد استكمال كل هذه الخطوات يبدأ المفسر الأدبي بالتفسير وفق خطوات المنهج الأدبي الذي سنتعرف عليها بعد قليل.

يقول الخولي: "يبدو للناظر أن تفسيره سوراً وأجزاء لا يمكِّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه إلا **إن وقف المفسِّر عند الموضوع ليستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاءً فيردَّ أوله إلى آخره، ويفهم لاحقه بسابقه.. وأنت _ أرشدك الله_ مقدِّر أن الذي يفهم جملة نصوص خاصة بموضوع واحد إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقه، بمعرفة سابقها ولاحقها ومتقدمها ومتأخرها** إذا ما كان الزمن قد تباعد بين تلك النصوص وبخاصة مثل هذا التباعد الزمني الذي بين آي القرآن فقد طال سنين وسنين .. ثم **هذا المتفهم محتاج إلى إدراك الملابسات والمناسبات والأسباب التي أحاطت بما نفهمه من النصوص إذ هي أضواء لا بد منها لاستجلاء المعنى ... وذلك كله يقضي في وضوح بأن يُفَسَّر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تُجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويُعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم يُنظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده...**

فصواب الرأي أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً لا أن يُفسَّر على ترتيبه في المصحف الكريم سوراً أو قِطَعاً ثم إن كانت للمفسِّر نظرةٌ في وَحْدة السورة وتناسب آيها واطراد سياقها فلعل ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفي للموضوعات المختلفة فيها"[36].

ثانياً: خطوات المنهج:

بعد بيان المقاربة الضرورية للنص القرآني لِجَعْله صالحاً للدرس الأدبي على غرار بقية النصوص الأدبية الرفيعة، يقترح الخولي تطبيق منهج التفسير الأدبي الذي ينقسم إلى صنفين كما هي الخطة المثلى للدرس الأدبي، هما: دراسة حول القرآن، ودراسة في القرآن.

---

[34] **القادة والرسل**، أمين الخولي، 10_13.
35 **القرآن وقضايا الإنسان**، بنت الشاطئ، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م، 22.
[36] **دراسات إسلامية**، أمين الخولي، 40.

1_ دراسة حول القرآن: وتنقسم إلى نوعين:

أ_ دراسة خاصة قريبة: أي دراسة نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءاته، والهدف منها تحقيق النص القرآني وضبطه وبيان تاريخ جمعه وتدوينه وقراءته. هذا النوع من الدراسة يدخل ضمن ما اعتنى به العلماء القدامى، وأدرجوه في نطاق علوم القرآن التي جعلوها مقدمةً للتفسير، كما فعل السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" الذي أعدّه ليكون مقدمةً لتفسيره الكبير "مجمع البحرين ومطلع البدرين"، وقد اعتنى الغربيون بهذا النوع من الدراسة، ومن أهم الأعمال في هذا الصدد كتاب "تاريخ القرآن" لتيودور نولدكه[37] الذي أبدى الخولي اهتماماً واضحاً به، وحرصَ على ترجمته إلى العربية[38].

ب_ **دراسة عامة بعيدة:** يقصد الخولي بهذا النوع من الدراسة دراسة كل العناصر والمكونات الطبيعية (من صحاري، وجبال، ورياح، وسماء ونجوم، وأنهار، وأشجار..) والمعنوية (من تاريخ واقتصاد وأنظمة قرابة وزواج وطلاق وميراث، وقضاء وفضّ خصومات، وتراتب اجتماعي..) التي تتشكل من مجموعها البيئة العربية التي نزل الوحي بين جنباتها، وخاطب أهلها، وراعى معهودهم اللغوي والحضاري بكل جوانبه الروحية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية، حتى يضمن التأثير بهم، والأخذ بأيدهم بشكل رفيق، يراعي حساسياتهم الدينية والثقافية حتى لا ينفروا من الوحي، ويصدوا عنه صدوداً يحول بينهم وبين الاهتداء برسالته، وحتى ينشطوا لحمل هذه الرسالة إلى آفاق الدنيا، وتحمّل كل المشاقّ لتبليغها[39].

كل ما ذكره الخولي في هذه الدراسة البعيدة للقرآن الكريم يدخل تحت ما يُعرف اليوم بمعرفة السياق التاريخي والمعرفي للنص المفسَّر، أو بالمقام التخاطبي للنص الذي لا يمكن أن يُفهم حق الفهم إلا باستيعاب عناصره، والاستعانة بها في تحديد الدلالات المرادة في النص[40].

2_ دراسة القرآن نفسه:

أ_ **تفسير المفردات:** يجب على المفسّر أن يعمد إلى معاني الآيات القرآنية التي تؤديها ألفاظها العربية البيِّنة كما كان يفهمها أهل العربية في عهد نزول القرآن الكريم، ولا يتجاوز ذلك فيُحمِّل ألفاظ القرآن شيئاً من المعاني الباطنية أو الإشارية أو التأويلات المذهبية، أو الصناعية النحوية المتكلّفة، أو البلاغية الفلسفية النظرية النائية عن الأجواء الأدبية العربية التي نزل القرآن في سياقها.. لأنها تسدل حُجُباً على البيان القرآني وتقيم عقبات في سبيل الوصول إلى أغراضه الحيوية ومعانيه الاجتماعية والنفسية.

ويجب على المفسِّر النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره، ليفصل فيها المعاني اللغوية عن المعاني الاصطلاحية التي يجب استبعادها، ومن ثَمَّ ينظر في تدرُّج المعاني اللغوية للمادة نظرةً تجتهد في سبيل الوصول إلى تاريخ ظهور هذه المعاني فيقدّم الأسبق الأقدم على السابق حتى الوصول ما أمكن إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة يغلب على الظن أنه كان مستعملاً في عصر التنزيل. ثم يجب على المفسّر الانتقال إلى المعنى الاستعمالي للكلمة في القرآن الكريم، لأن الكلمة القرآنية على الرغم من عربيتها البيّنة إلا أنها لا تكتسب خصوصية دلالتها إلا من خلال معرفة الاستعمال القرآني لها، الذي يمنحها المعنى المراد منها، وهنا ينبِّه الخولي إلى ضرورة تتبع ورود وتواتر الكلمة في كل المواضع التي وردت في سياقها، ومعرفة فيما إذا كانت الكلمة تمتلك معنى واحداً على الرغم من ورودها في أزمنة وأمكنة ومواضع مختلفة ومتباينة، وفي هذه الحالة يتم اعتماد هذا المعنى الواحد في تفسير

---

[37] تيودور نولدكه (1836– 1930م): شيخ المستشرقين الألمان، كان متقنا للغات اليونانية والعربية والعبرية والسريانية والفارسية والتركية، أبرز مؤلفاته كتاب "تاريخ القرآن"، الذي ترجم إلى العربية فيما بعد. وقد شكّل هذا الكتاب نقطة تحول في الدراسات القرآنية في الغرب. انظر، **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م، 417–420.

38 انظر، **مناهج تجديد**، 234–235.

[39] انظر، **مناهج تجديد**، 225.

[40] انظر، **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1994م، 336–352.

الكلمة في كل المواضع التي وردت فيها، أما إذا لاحظ المفسّر أن هذه الكلمة تحتمل معاني متعددة حسب السياقات التي وردت فيها، فعليه في هذه الحالة مراعاة السياق القريب الذي وردت فيه هذه الكلمة، واعتماد هذا المعنى السياقي دون غيره من المعاني المحتملة بشرط أن يكون هذا المعنى متصلاً بمعناها اللغوي الذي تم تحديده في الخطوة السابقة[41].

على الرغم من أن الخولي يدعو إلى عدم فهم ألفاظ القرآن وتفسيرها إلا كما كان يفهمها العرب في عصر التنزيل، وضمن حدود الاستعمال القرآني، ويرى وجوب الابتعاد عن اعتقاد معانٍ وحمل ألفاظ القرآن عليها، إلا أنه، بسبب إيمانه بخلود القرآن الكريم، وديمومة رسالته المواكبة لحركة الحياة والناس، يرى أن ألفاظ القرآن تمتلك معاني إنسانية عامة وخالدة[42]، ويرى أيضاً إمكانية أن ننسب إليها أيضاً بعض المعاني المتجددة بشرط أن تتصل هذه المعاني بالمعاني اللغوية والاستعمالية لها في عصر التنزيل، فضلاً عن اتصالها بالمعاني السياقية لها في حدود النص القرآني، ولا تقطع الصلة بها، بل يجب أن تخرج من رحمها، وتنتمي إليها دون إقحام أو تكلّف[43].

ب_ **دراسات التراكيب:** يرى الخولي ضرورة دراسة التراكيب القرآنية بالاستعانة بعلوم النحو والبلاغة، ولكن بشرط أن تكون هذه الاستعانة ضمن الحدود التي تحتاجها هذه التراكيب، حتى تفصح عن معانيها، ودلالاتها التي جاء نزل البيان الإلهي من أجلها، مع ضرورة البحث عن تواتر هذه التراكيب في القرآن الكريم، والبحث عن معانيها المستعملة في النص القرآني، لأن التركيب القرآني شأنه شأن المفردة القرآنية يكتسب في سياقاته القرآنية دلالات خاصة به دون التفريط بدلالاته النحوية المعهودة[44].

ج_ **دراسة الأساليب القرآنية:** دعا الخولي إلى بذل العناية الخاصة بدراسة الأساليب البلاغية التي استعملها القرآن الكريم للتعبير عن معانيه ودلالاته، لما لها من أهمية قصوى في صياغة المعنى القرآني بطريقة فعالة ومؤثرة في عقول ونفوس المتلقين له. ولكنه دعا إلى عدم جعل هذه الدراسة ميداناً جافاً للبحث عن أمثلة تطبيقية لفنون البلاغة المذكورة في أمهات كتب البلاغة. ودعا في مقابل ذلك إلى دراسة هذه الأساليب لذاتها، ومن داخلها، للوقوف على أسرارها البيانية، وسماتها الأسلوبية المتفردة، وذلك من خلال المقارنة مع خصائص التراكيب والأساليب البلاغية العربية الرفيعة التي تمثل ذروة الإبداع الأدبي العربي. يقول الخولي: "النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعنى بتطبيق اصطلاح بلاغي بعينه، وترجيح أن ما في الآية منه كذا لا كذا، أو إدراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر، بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثّل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، وتستبين معارف هذا الجمال، وتستجلي قسماته، في ذوق بارع، قد استشف خصائص التراكيب العربية"[45]. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف دعا الخولي إلى القيام بإصلاح أدبي وبلاغي يمكّن الباحثين من بناء مقاربة أدبية وبلاغية تتناسب مع خصوصية إبداع القرآن في صياغة أساليبه الخاصة [46].

ثالثاً: ملحق المنهج:

بعد إتمام هذين القسمين من الدراسة الأدبية للقرآن الكريم، يرى الخولي، في سياق دعوته إلى القيام بإصلاح أدبي يرتفع إلى مستوى القرآن ويتجاوب مع خصوصيته الأسلوبية، وجوب مراعاة ما يأتي:

---

[41] **مناهج تجديد**، 237– 238.

[42] يقول الخولي: "إن للقرآن معاني ومرامي إنسانية اجتماعية بعيدة المدى، أبدية العمر، لكن ذلك إنما جاء الإنسانية في ثوبه العربي بذلك التعبير العربي، والتمثُّل التام لهذه العروبة هو السبيل المتعينة لفهم ذلك كله، والوصول إليه"، مناهج تجديد، 235.

[43] **مناهج تجديد**، 237.

44 **مناهج تجديد**، 238.

45 **مناهج تجديد**، 239.

46 **مناهج تجديد**، 239.

أ_ **التفسير النفسي:** بسبب إيمان الخولي العلمي العميق، بأن القرآن الكريم نصٌّ أنزله الحق سبحانه لإصلاح حياة البشر، وتدبير شؤونهم ورعاية مصالحهم من جهة، وبسبب الطابع الأدبي والفني له، وبسبب العلاقة المستقرة والوثيقة بين الأدب والبلاغة والنفس البشرية، باعتبار أن الأدب مرآة للنفوس، وموجِّه لها من جهة أخرى، فقد دعا إلى ضرورة فهم القرآن وتحليل أساليبه الأدبية في ضوء المكتسبات المعرفية لعلم النفس، لأن هذا التحليل هو الذي سيقدِّم لنا التفسير العلمي لنظم القرآن واختياراته الأدبية والأسلوبية، التي راعت الأحوال النفسية للمخاطبين به، وقامت بإعجازها البياني بتغيير أفكارهم وعقائدهم المتصلة بالله والكون والإنسان، وتعديل سلوكهم في كل مناحي الحياة، وبالتالي عملت على تحقيق مقاصد الرسالة القرآنية في الأرض بطريقة تحترم حاجات النفس البشرية، وتعرف مداخلها ومساربها العميقة، وتأخذها بعين الاعتبار، حتى تنقل الناس بطريقة مبدعة وآمنة من عالم الظلام الكئيب إلى عالم النور الرحيب.

يقول الخولي: "إن ما استقرَّ من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهّد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن، كما كشف عن الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة بما عرف العلم من أسرار النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوة القرآن الدينية وجدله الاعتقادي، ورياضته للوجدانات والقلوب، واستلاله لقديم ما اطمأنت إليه وتوارثته عن الأجيال والأسلاف، وتزيينها بما دعا إليه من إيمان ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله، وكيف تلطَّف القرآن لذلك كله، وماذا استخدم من حقائق نفسية، في هذه المطالب الوجدانية والمرامي القلبية، وماذا أجدت رعاية ذلك كله في إنجاح الدعوة وإعلاء الكلمة. فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانية، وأن الفنون على اختلافها ومن بينها الأدب ليست إلا ترجمة لما تجده النفس .. ولا نقول الآن أكثر من **أن اللمحة النفسية في المعنى القرآني ربما تكون أحسم لخلافٍ بعيد الغور، كثير الشُعَب بين المفسرين، قد تأثلوا له البراهين النظرية والأقيسة المنطقية، وتلاقوا فيه بصنوف الأعاريب، ومعقد الصناعة النحوية البعيدة عن روح الفن، أو بالمحاولات البيانية الجافة ... فالملاحظة النفسية حين تعلّل نسج الآية وصياغتها، وتعرِّف بجو الآية وعالمها، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء، وبدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلاً ساذجاً، لا تكاد النفس تطمئن إليه، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن**"[47]. ويقول في موضع آخر: " إن هذا القرآن إنما يُعلَّل إيجازُه وإطنابه، وتوكيده وإشارته، وإجماله وتفصيله، وتكراره وإطالته، وتقسيمه وتفصيله، وترتيبه ومناسباته، يُعلَّل كلُّ أولئك وما إليه بالأمور النفسية لا غير، وما قام من تعليل مثل هذا على الأصل النفسي فهو الدقيق المنضبط، وما جاوز ذلك فهو ادعاء وتمحّل، أو أشبه بذلك غالباً.. "[48]

ب_ **التفسير والتاريخ وعلم الاجتماع:** بالإضافة إلى علم النفس فقد دعا الخولي، مقتدياً في هذه الدعوة بالشيخ محمد عبده، المفسرين إلى الاطلاع على التاريخ وعلم الاجتماع، لأن الرسالة القرآنية لا تسعى إلى تغيير النفوس فقط، بل هي تسعى أيضاً تغيير المجتمعات نحو الأقوم، ولذلك كثرت الآيات القرآنية التي تتحدث عن التاريخ البشري وقوانين السقوط والنهوض في حركة المجتمعات الإنسانية، وهذه الآيات لا يمكن فهمها واستيعاب دلالاتها المرادة منها دون اطلاع على كتب التاريخ وإنجازات علم الاجتماع ذات الصلة بهذه الدلالات[49].

_ **أخيراً: على سبيل الخاتمة:** أحسَّ الخولي، بعد حديثه عن رؤيته المنهجية للدرس الأدبي للقرآن الكريم، وحديثه عن خطوات منهجه، وما تحتاجه هذه الخطوات من علوم ومعارف واسعة، وما قد تحتاجه من وقت وجهد كبيرين لاكتسابها واستثمارها بطريقة

[47] **مناهج تجديد**، 239-240.
[48] **مناهج تجديد**، 254-255.
[49] **مناهج تجديد**، 240.

منهجية مثمرة في ميدان علم التفسير، أحسّ بصعوبة ووعورة تحقيق واستيفاء كل مقتضيات المنهج الأدبي في تفسير القرآن. لكنه، على الرغم من هذا الإحساس المرّ، أشار إلى عدم استحالة تحقيق هذا المنهج، وحثَّ أهل العلم والمفسرين في عصره على تحمُّل مسؤولياتهم العلمية تجاه القرآن الكريم، بسبب اقتناعه التام بأهمية المنهج الأدبي في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

يقول الخولي: ".. وبعد: فقد وصفتُ الذي وصفتُه من منهج التفسير الأدبي ومطالبه الجليلة، وأنا ذاكرٌ ما لا أنساه أبداً، كلما شرحتُ المنهج الدقيق لدراسة أدبية أو غيرها، فأقول للمستكثرين: مهما يكن لهذه المطالب من أثر يُثقل خطانا، ويؤخر أثمار دراستنا، ويُشعرنا بالنقص، ويعود علينا باللائمة فإن هذه هي الحقيقة، ولن **نكذب على أنفسنا، وعلى الأجيال فنزعم الكفاية الكاملة، والقدرة الموفورة، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيُّد الزائف. وليس الذي نبغيه من هذا المنهج مستحيلاً ولا بعيد التحقيق، فقد شعر أسلافنا بجملته، وقاموا ببعضه للقرآن، ثم قام المحدثون به كله لكتبهم الأدبية والدينية، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين**"[50].

المطلب الخامس: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): حياتها ومنهجها في التفسير:

وُلدت بنت الشاطئ في دمياط عام (1912م) لأب من العلماء من أساتذة المعهد الديني في طنطا الشيخ محمد علي عبد الرحمن، حفظتْ القرآن الكريم، وهي ابنة ست سنوات، وتلقت العلم على يدي والدها، ثم التحقت، بعد مشقة، بالمدارس الحكومية، ثم انتسبت إلى الجامعة المصرية في عام (1935م) ، وتخرّجت منها، وحصلت على درجتي الماجستير عام (1941م)، والدكتوراه عام (1955م).

عملت بنت الشاطئ، بالإضافة إلى عملها في الصحافة في جريدة الأهرام، مُدّرسةً في جامعة القاهرة ثم في جامعة عين شمس، ودرّست في عددٍ من الجامعات الأخرى على رأسها جامعة القرويين، ودار الحديث الحسنية في المغرب، وجامعة الخرطوم، وجامعة الجزائر، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمارات العربية، وكلية التربية للبنات بالرياض. وكانت عضواً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضواً في المجلس الأعلى للثقافة في مصر. وحصلت على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي بالمشاركة مع الدكتورة وداد القاضي[51] عام (1994م). توفيت، رحمها الله تعالى، عام (1998م).

من أبرز تلامذتها الدكتورة سلوى العوا صاحبة كتاب "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"، و "العلاقات النصية في القرآن الكريم".

لها أكثر من أربعين كتاباً، وخمسين بحثاً، منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، الإعجاز البياني للقرآن ورسائل ابن الأزرق؛ القرآن والتفسير العصري، القرآن وقضايا الإنسان؛ الشخصية الإسلامية: دراسة قرآنية؛ مع المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ تراجم سيدات بيت النبوة؛ أرض المعجزات؛ تحقيق مقدمة ابن الصلاح، وتحقيق رسالة الغفران لأبي العلاء المعري[52].

تبنت **عائشة عبد الرحمن** منهج شيخها أمين اخولي، واجتهدت في تطبيق أسسه المنهجية، ونجحت في ذلك إلى حدٍّ كبير. وذلك من خلال كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم" الذي ظهر في ستينات القرن الماضي، حيث اختارت فيه تفسير عدة سور مكية قصيرة، تمتاز بوحدة الموضوع المتمثّل بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية (الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد ™، ورسوله ‘، واليوم

---

[50] **مناهج تجديد**، 241.

51 وداد القاضي: باحثة وأكاديمية من لبنان، مختصة بالأدب العربي والدراسات الإسلامية، درّست في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي عدد من الجامعات الأمريكية، وهي حالياً أستاذة الفكر الإسلامي في جامعة شيكاغو، من كتبها: "الكيسانية في التاريخ والأدب"، و"مجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان الأندلسي"، حققت كتابي "الإشارات الإلهية" و"البصائر والذخائر" لأبي حيان التوحيدي.

52 للتوسع في ترجمة بنت الشاطئ يمكن العودة إلى كتاب: **بنت الشاطئ: رحلة في أمواج الحياة**، وفاء الغزالي، القاهرة، كتاب اليوم، عدد 99، 1999م، 11–49، 91–125 .

الآخر، ووجوب العمل الصالح)، وخالية في الوقت نفسه من التشريع والقصص القرآني المثيرين للنقاش والاجتهاد الذي يحتمل التنوع والاختلاف إلى درجة الصدام أحياناً، كما حدث مع زميلها محمد أحمد خلف الله من قبلُ الذي أثارت رسالته حول "الفن القصصي في القرآن" جدلاً واسعاً، وانتقادات شديدة[53]، وبذلك اجتنبت الدخول في نقاشٍ يُبعدها عن غايتها الحقيقية المتمثّلة بتطبيق منهج شيخها الخولي بأوضح وأيسر طريقة ممكنة، وركّزت عملها على تحرير دلالة المفردة القرآنية، وبيان الخصائص الأسلوبية للبيان القرآني، وهو الهدف الأساسي للاتجاه الأدبي لتفسير القرآن الكريم.

وقد تميَّز تفسير بنت الشاطئ بعناصر منهجية عدة، لعل أبرزها:

_ تحقيق معاني المفردة القرآنية انطلاقا من أمهات المعاجم العربية، والشعر العربي القديم، وأقوال المفسرين، حيث تبدأ بمتابعة التطور الدلالي للمفردة لمحاولة الوصول إلى المعنى الحسي الأول لها، ثم محاولة معرفة المعاني اللغوية المتداولة لها في عصر التنزيل، ثم جمع كل مواضع ورود الكلمة في القرآن الكريم مع تصاريفها واشتقاقاتها، واستنباط معانيها حسب سياقاتها المختلفة، ولمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها في القرآن الكريم، ثم تقرير معناها المقصود والمراد بها حسب سياقها الخاص بها، مع مراعاة التناسب والانسجام مع كل أجزاء النص المرتبطة بها . ونتيجةً لذلك وصلت بشكل حاسم إلى نفي الترادف، وإلى تقرير قاعدة تأويلية تقول بأنه لا **يمكن أن يكون للمفردة القرآنية في سياق واحد أكثر من معنى واحد**[54] ، ولذلك رفضت ما كان يقوم به بعض المفسرين عندما يحشدون للكلمة القرآنية عدة معان قد يقوم بينها شيءٌ من التباين والتعارض دون أي نقد لها، أو ترجيح لأحدها، أو جمع لها في إطار معنى جامع تتدرج فيه جميعاً، في حال كان الاختلاف بينها اختلاف تنوع لا اختلاف تضادّ. وبسبب هذه الصرامة العلمية وقفت بنت الشاطئ موقفاً نقدياً بارزا ضد كلّ المحاولات الإيديولوجية والعلمية التي تحاول صرف الدلالة القرآنية عن معجمها القرآني الخاص بها، وقطعها عن سياقها النصي الداخلي لصالح توظيفها في خدمة هذه القضية أو تلك[55].

_ وبقدر اهتمام بنت الشاطئ بالمفردة القرآنية أبدت اهتماماً واضحا في تتبع ودراسة الأساليب الأدبية والظواهر الأسلوبية في كل سورة فسَّرتها (مثل أسلوب القسَم)، وعملت على فهم خصائصها البيانية من خلال استيعاب نظائرها في عموم النص القرآني، وتدبّر سياقها العام في عموم النص القرآني، ثم تدبّر سياقها الخاص في السورة والآية التي وردت فيها، وحاولت إثبات وجود علاقة نوعية بين هذه الظواهر وبين الموضوعات التي تكشف عنها، وبين موضوع السورة الرئيس، كما اجتهدت في تبيين الآثار النفسية التي تتركها هذه الظواهر في نفوس متلقيها وعقولهم [56].

_ أكّدت بنت الشاطئ بكل وضوح أن المرجعية الأولى في حسم المعاني والدلالات القرآنية تتمثّل في نص القرآن وسياقه، فهما المحدِّد الأساسي في تقرير هذه الدلالات، والمعيار المقدَّم على أقوال المفسرين وقواعد علماء النحو والبلاغة، حيث تقول: "نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصاً وروحاً، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أُقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل. كما نحتكم إلى الكتاب

---

[53] للوقوف على ترجمة محمد أحمد خلف الله، ومعرفة رؤيته الإشكالية للقصص القرآني التي أثارت انتقادات واسعة لها، يمكن العودة إلى: **الإنسان والقرآن وجهاً لوجه: التفاسير القرآنية المعاصرة**، د. احميدة النيفر، 127–131. **تفسير القرآن في مصر الحديثة**، يوهانس جانسن، 146–147.

[54] انظر، **الإعجاز البياني للقرآن**، بنت الشاطئ، ط3، القاهرة، دار المعارف، د.ت، 210–215. **التفسير البياني للقرآن الكريم**، الجزء الثاني، بنت الشاطئ، ط5، القاهرة، دار المعارف، د.ت، 2/ 7–9.

[55] انظر في هذا السياق كتابها "القرآن والتفسير العصري" الذي ألفته في سياق ردها على مقولات أصحاب الاتجاه العلمي في التفسير في زمنها، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى محمود، صاحب كتاب "القرآن: محاولة لفهم عصري".

[56] انظر، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، 7/2. ويمكن الوقوف على كل ما قلناه أعلاه في عموم صفحات كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم".

العربي المبين المحكم في التوجيه الإعرابي، والأسرار البيانية، نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، ولا نأخذ فيه بتأويلٍ لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه".[57]

وفي الحقيقة فقد نبع اهتمام بنت الشاطئ بالسياق القرآني من قناعتها العلمية بوحدة النص القرآني بشكل عام، ووحدة نصه وانسجامه على مستوى سوره، لذلك دعت دون كلل أو ملل إلى تفعيل الأصل التأويلي المتفق عليه (القرآن يفسِّر بعضُه بعضاً)[58] .

_ نموذج تطبيقي: أسلوب القسم في القرآن الكريم عند بنت الشاطئ:

ترفض بنت الشاطئ القبول بالقول السائد بأن "الأقسام" التي ترِد في بدايات بعض السور، هي إشارات إلهية إلى عظمة المخلوقات التي وقع عليها القَسَم. هذا الرأي المقبول من قبل عدد من العلماء قديماً وحديثاً، مثل: ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، ومحمد عبده (ت 1905م)، لا تقبل به بنت الشاطئ، ولا تراه كافياً لتفسير أسلوب "القسَم" في القرآن الكريم. وذلك لأنَّ القرآن الكريم، في نظر بنت الشاطئ، عندما يريد أن يشير إلى روعة وعظمة مخلوقات الله يفعل ذلك بطريقة مباشرة وواضحة[59]، ومجرّد الإشارة، في هذه "الأقسام" الغامضة، إلى المخلوقات (مع الإقرار بأنَّ خلق أصغر الأشياء هو معجزة عظيمة) لا يساوي تلك المقاطع القرآنية الصريحة التي نستنبط منها عظمة رفعة الخالق من خلال روعة وعظمة مخلوقاته. لذلك ذهبت بنت الشاطئ إلى أنّ "القسَم في القرآن هو أداة أسلوبية لجذب انتباه المستمعين بأقوى طريقة ممكنة من حيث الجاذبية والتأثير، وذلك من خلال استخدام شيء يُدرك بسهولة عن طريق الحواس للإشارة به إلى شيء معنوي، يشتركان معاً في بعض الصفات الجامعة بينهما، ولكن هذا الشيء المعنوي نفسه غير متضمَّن في داخل القَسَم، فالقسَم بالنهار والنور يشير إلى الوحي والهداية الربانية، والقسَم بالليل والظلمة مرتبط بالضلال والوثنية حسب نظرية بنت الشاطئ"[60].

تقول بنت الشاطئ: "والذي اطمأننت إليه، بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو أي واو القسم هو أن القسَم بها يمكن أن يكون – والله أعلم– قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسَم للتعظيم إلى معنى بياني، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وُضِعت له لملحظٍ بلاغي. فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى حِسيّات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توطئةً إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تُدرك بالحسِّ ... وحين نتتبع أقسام القرآن... نجدها تأتي لافتةً إلى صورة مادية مُدرَكة، وواقع مشهود، توطئةً بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة، ولا مُدرَكة يماري فيها من يماري: فالقرآن الكريم في قَسَمه بالصبح إذا أسفر، وإذا تنفس، والنهار إذا تجلى، والليل إذا عسعس، وإذا يغشى، وإذا أدبر، يجلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة، وهذا البيان للمعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فنقبلها دون تكلّف أو قسْر في التأويل... هذا هو ما نطمئن إليه في التفسير البياني للقسَم... ولا أعرف فيما قرأت أحداً من المفسرين التفت إلى هذا الملحظ التفاتاً واضحاً متميزاً، وإن يكن بعضهم قد استشرف له من بعيد "[61].

بالنسبة إلى سورة الضحى، تشرح بنت الشاطئ أن القرآن الكريم يشير، من خلال أوّل آيتين في هذه السورة، إلى ظاهرتين متعاقبين "تألّق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن". وفي الآيات الثلاث التالية، يشير القرآن أيضاً إلى ظاهرتين

---

[57] **التفسير البياني للقرآن الكريم**، 11/1.
[58] **التفسير البياني للقرآن الكريم**، 18/1.
[59] مثل قوله سبحانه في سورة لقمان: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {10} هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {11}}.
[60] **تفسير القرآن في مصر الحديثة**، يوهانس جانسن، 160.
61 **التفسير البياني**، بنت الشاطئ، 1/25_26

متعاقبتين بالضرورة هما ظاهرة سكون الوحي، وظاهرة نزوله[62]. وبالإضافة إلى ذلك، يشير القرآن، في الآيات رقم (6 و7 و 8) من هذه السورة إلى تقلّبات الأحوال المتعلقة بالإنسان[63].

أمّا بالنسبة إلى سورة النازعات، فقد قدّمت بنت الشاطئ، من خلال نظريتها في القسَم حلّاً رائعاً لمشكلة "الأقسام"، التي تثير التأمل، والمذكورة في أول هذه السورة: {وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦} [سورة النازعات:1-6]. حيث تتفق بنت الشاطئ مع كلّ المفسرين الآخرين في أنّ هذه الآيات الكريمة تصف يوم الحساب، ولكنّها ترى أن الآيات الخمس الأولى وصفٌ لظاهرة حسيّة ملموسة، هي ظاهرة هدير قطيع الخيل المغيرة التي تمهّد لأمور تتعلق بيوم القيامة. ونصّ الآيات الذي جاء وفق صيغة جمع المؤنث وعلى وزن اسم الفاعل[64]، يتجاوب مع هذا الفهم. وأنّ صوت قطيع الأحصنة الهادر تشبيه مناسب ليوم القيامة. ومن المحتمل أن يكون هذا التشبيه قد ترك تأثيراً على كفّار مكة الذين نزلت هذه السورة من أجل مخاطبتهم، أكثر من الأثر الذي كان يمكن أن يتركه وصف الملائكة، الذين رأى البيضاوي (ت685هـ) أنّهم الموصوفون هنا للتأثير في كفار قريش[65].

تقول بنت الشاطئ: "ولا داعي عندنا لإطالة الوقوف عند هذه التأويلات [تشير إلى أقوال المفسرين للمقصود بالنازعات وما بعدها، وفي تقدير جواب القسَم] .... وإنما يتمُّ لنا بالمقطع الأول من السورة _ بآياته الخمس– مشهدٌ حسيٌّ وصورة مادية للخيل فيما تعاني من عنف النزع، وقوة الجذب وشدة التجمع للإفلات والانطلاق، كي تحسم أمراً أُريدت له، وتبتّ في مصير حشدت له قواها، وعانت في السبق إليه ما عانت من نزع وجذب، ومن تجمّع وتقبّض وتوثب، شأن النازع المغرق، والسابح في غير مجال. والقرآن في سورة (العاديات) قد لفت إلى انطلاق الخيل في غارتها المصبحة، المفاجئة، وهو هنا [أي في صدر سورة النازعات] يعرض المشهد من جانب حركة العَدْوِ، وما فيها من معاناة وتجمع وانطلاق. والواقع المادي لحركة العَدْو يوحي بما تهدر به صدور الخيل وهي تتجمع للمعركة، وما تضطرب به أعماقها وهي تتقبض وتتوثب، مفلتة من العقال، سابحة في الهواء، سابقة إلى حيث أُريد لها. فإذا ما بلغت من ذلك كله تدبير الأمر المراد، جاءت صورة أخرى غيبية، تصور حركة القيامة بما فيها من رجف، ووجف وما يصحبها من هزة عنيفة تغير الثابت من نظام الكون، وتدبر أمراً كان حتماً مقضياً"[66].

---

62 تقول بنت الشاطئ: "المقسَم به في آيتي الضحى صورة مادية وواقع حسي يشهد به الناس في كل يوم، تألق الضوء في ضحوة النهار، ثمّ فتور الليل إذا سجا وسكن. دون أن يختل نظام الكون، أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار؛ بل دون أن يخطر على بال أحد أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النهار، فأي عجب في أن يجيء بعد أُنس الوحي وتجلّي نوره على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فترة سكون يفتر فيها الوحي على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق". **التفسير البياني**، 1/ 26.

63 أي إشارة القرآن الكريم إلى ظواهر اليتم والرعاية والضلال والهداية، والفقر والغنى، المتقابلة والمذكورة في قوله تعالى: {أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨} [سورة الضحى:6–8]، على غرار إشارته إلى تعاقب ظاهرتي النهار والليل المتقابلتين في صدر السورة.

64 تشير إلى: النازعات الناشطات السابحات السابقات المدبرات، فهذه الكلمات، بهذه الصيغة، وهذا الوزن تقبل العربية أن تطلقه على الخيل.

65 ذهب البيضاوي، وغيره من المفسرين إلى أن الصفات المذكورة في صدر سورة النازعات تتعلق بالملائكة. تقول بنت الشاطئ: "وأمام ذلك المألوف من أسلوب القرآن في اللفت بالواو إلى مادي مُدرَك، لا نطمئن إلى تفسير (النازعات) بما ذهب إليه أكثر المفسرين من أنها الملائكة تنزع الأرواح؛ إذ ليست الملائكة في نزعها للأرواح، وسبقها إلى تدبير أمر الله مما يدخل في نطاق الحسيات المدركة. كما يبدو مستبعداً في فهمنا، والله أعلم، أن يلفت إليها القرآن للاستدلال على البعث مَنْ لا يؤمنون بملائكة تنزع الأرواح، وتدبر شؤون الكون بأمر الله؛ إذ لو كانوا مؤمنين بها لصدقوا بالبعث واليوم الآخر". **التفسير البياني**، 1/ 124.

66 **التفسير البياني**، 1/129_130.

نتائج البحث: يمكن تلخيص أبرز نتائج هذه الدراسة وفق النقاط الآتية:

_ على الرغم من تأسيس أصحاب الاتجاه الأدبي رؤيتهم ومقاربتهم الخاصة للقرآن الكريم على عربية القرآن الكريم، ودعوتهم لجعل الدراسة الأدبية للقرآن حقاً متاحاً أمام جميع الدارسين مسلمين وغير مسلمين، وإعطاء الأولوية للمقاربة الأدبية على كل أنواع المقاربات الأخرى فإن هذه الأمور لا تعني، في نظرهم، نزع القداسة عن القرآن الكريم، ولا تؤدي إلى قطعه عن مقاصده الدينية ومراميه الاجتماعية والإصلاحية.

_ دعا أصحاب الاتجاه الأدبي إلى بيان معنى المفردة القرآنية حسب معناها المتداول في البيئة العربية في عصر التنزيل، وحسب الاستعمال القرآني لها في كامل النص القرآني، مع مراعاة سياقها الخاص وائتلافها مع جملة المعنى الذي تتموضع داخله، والمقام الذي تنزلت فيه، مع الحرص التام على التوافق مع مقاصد القرآن الكلية، وعدم الاصطدام مع أي منها.

_ نبّه أمين الخولي إلى أن تفاعل المفسِّر مع النص القرآني أمرٌ ضروري، ولا ينفكُّ عنه مفسِّر، ويمكن أن يؤدي هذا التفاعل إلى الوصول إلى بعض الدلالات الجديدة، بحكم تطور المعرفة، وتغير الظروف والأزمان، وتنوع شخصيات المفسرين، وتباين مرجعياتهم العلمية، لكنه ربط مشروعية هذا التفاعل بشرطين لا يمكن الاستغناء عنهما، أولهما: ضرورة التزام المفسِّر بالأوضاع اللغوية للنص ومقتضياتها، وضرورة فهمه ضمن معهود الخطاب العربي وأساليبه ضمن عصر التنزيل، وضمن حدود الاستعمال القرآني لكلماته وأساليبه. وثانيهما: ضرورة التزام المفسِّر أثناء عمله بجوهر الرسالة القرآنية ومقاصدها الدينية والإصلاحية، ولا يخرج عنها، ولا يصطدم معها بأية صورة من الصور، حتى لا يتحول القرآن الكريم إلى قالب غير مؤثر في إنتاج الدلالة، ويملؤه المفسِّر بما يريد، وكيف يريد.

_ دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى الاعتناء بالأساليب القرآنية وتذوقها بعد التشبع بالأساليب العربية في الشعر والنثر بحيث يستطيع المفسِّر النفاذ إلى خصائص القرآن الأسلوبية الخاصة به، والخادمة لمعانيه، وتقدير آثارها في النفس البشرية.

_ يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه من أجل تحرير المراد من كل أسلوب قرآني يرد في سياق أية آية كريمة لا بدّ من الاستعانة بنظائره المستعملة في القرآن الكريم، فدراسة الأسلوب في ضوء نظائره قادرة على الكشف عن دلالته العامة، والانتقال إلى دلالته الخاصة يكون بمراعاة السياق الخاص الذي ورد فيه.

_ نبّه أصحاب الاتجاه الأدبي إلى ضرورة الأخذ بمقتضيات علوم التاريخ والنفس والاجتماع لتقدير القيمة التداولية/التأثيرية للنص القرآني بوصفه كتاب الله تعالى الذي أنزله رحمةً للعالمين، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور في كافة جوانب حياتهم.

_ قدّم الخولي وبنت الشاطئ مساهمة معرفية ومنهجية على طريق الدراسة الموضوعية للقرآن الكريم على مستوى (وحدة الموضوع في القرآن) ومستوى (وحدة السورة وتمساك أجزائها وتكاملها) الضروريين للدراسة الأدبية لأي نص، وذلك من خلال تفعيل مبدأ تفسير القرآن بالقرآن، والتوسع في دراسة وجوه ووظائف التناسب القرآني، مع العناية بإبراز المقاصد القرآنية التي تشكِّل الضامن الموضوعي لوحدة النص القرآني وتماسكه الدلالي.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

Funding:

this research is funded by Damascus university – funder No. (501100020595).

المراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ط3، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.
2. بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م.
3. البعلبكي، منير، **معجم أعلام المورد**، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1992م.
4. جانسن، يوهان، **تفسير القرآن في مصر الحديثة**، ترجمة حازم زكريا محي الدين، بيروت، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2017م، 146-147.
5. حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1994م.
6. خليل، السيد أحمد، **دراسات في القرآن**، السيد أحمد خليل، دار المعارف بمصر، د.ت.
7. الخولي، أمين، **دراسات إسلامية**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1996م
8. ـــــــــــ، **مناهج تجديد** في **النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، الأعمال الكاملة، الجزء العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
9. ـــــــــــ، **من هدي القرآن: القادة والرسل**، ط3، القاهرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2001م.
10. الخولي، يمنى طريف، **أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد**، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، رقم الكتاب 652، د.ت.
11. رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم**، الشهير بتفسير المنار، ط2، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
12. الرفاعي، عبد الجبار، **الهرمنيوطيقا بوصفها منهجاً للتفسير عند أمين الخولي**، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2024م.
13. زرزور، عدنان، **القرآن ونصوصه**، دمشق، جامعة دمشق، منشورات كلية الآداب، مطبعة خالد بن الوليد، 1980م.
14. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م.
15. سالم، أحمد محمد، **الإسلام العقلاني: تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي**، القاهرة، دار رؤية، 2009م.
16. سعفان، كامل، **أمين الخولي شيخ الأمناء**، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998م.
17. الشرقاوي، عفت، **الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث**، ط2، بيروت، دار العودة، 1979م.
18. عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ)، **التفسير البياني للقرآن الكريم، الجزء الأول**، ط8، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
19. ـــــــــــ، **التفسير البياني للقرآن الكريم، الجزء الثاني**، ط5، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
20. ـــــــــــ، **الإعجاز البياني للقرآن**، ط3، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
21. ـــــــــــ، **القرآن وقضايا الإنسان**، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.
22. عياد، شكري، **دراسات قرآنية: يوم الدين والحساب**، بيروت، دار الوحدة للطباعة والنشر، 1984م.
23. الغزالي، وفاء، **بنت الشاطئ: رحلة في أمواج الحياة**، القاهرة، سلسلة كتاب اليوم، 1999م.
24. مصطفى، عادل، **فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا**، ط1، القاهرة، دار رؤية، 2007م،
25. نصار، حسين، **أمين الخولي**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1996م.
26. النيفر، احميدة، **الإنسان والقرآن وجهاً لوجه: التفاسير القرآنية المعاصرة، قراءة في المنهج**، ط1، دمشق، دار الفكر، 2000م.
27. Mustansir Mir, **The Qur'an As Literature.** Religion and Literature, 20 (1988).
28. Wikipedia**, Richard Green Moulton**.